

للإهودية أن تأخذ شكلها المتكامل لا من أرميا وإنما من حزقيال الذي أعطانا صورة متكاملة للظاهرة النفسية . وفي سلسلة من الرموز والأحلام والكوابيس وأحلام اليقظة يعطينا كتابه سلسلة من صور العدم والقفر ، الأجسام العسارية المشينة ، الجنس الشاذ المروع ، النيران التي تلتهم الأطفال ، قعم الصخور المخرجة بالدماء ، القدور المليئة باللحم والعظام تحت طفاوة من الحثالة يرش عليها شيء من التوابل ثم تغلى حتى تتحول الجيفة إلى كتلة منسجمة (١١) . ويبدأ هذا السفر بتخيل يرى فيه حزقيال خلانق مربعة لها أربعة رؤوس وأجنحة يظهر بعدها الرب يتصاعد اللهب من منطقتة الجنسية فيخبر الكاهن بأنه يعيش بين عقارب ثم يسلمه كتاباً . يحتوي الكتاب مرثي يبادر حزقيال بالتصرف الأصلي للكتابة فيزدردها . هنا يأمره الرب بأن يأكل ويشرب بمقياس صغير وأن يخلط أكله بغائط إنسان . وعندما يحتج الكاهن يسمح له الرب بتبديل غائط الإنسان بروت بقر . وتتوالى الصور الابتاعية (Oral intiojection) الشرجية (anal) .

ثم تنجلي السحابة وتعود بارقة الأمل فاذا بها شمس ساطعة . وفي حالة المسعور بالمانيا يطل من الأفق خلاص إسرائيل وتسنمها المجد والسؤدد بين أكاليل الرموز الخلودية .

ويغرق الكهان في بحر من الأوامر والنواهي المفرطة التي يتعذر تفسيرها بشيء غير النفسية الذهانية المنطوية . ويقع التركيز على الإردراء الإكلي والايلاج الجنسي والتفريغ الشرجي ويقسم العالم برمته إلى نظيف وغير نظيف . لحم الحمل بلين أمه غير نظيف لا تقربه . المرأة الحائض غير نظيفة لا تقربها . الذكر بشظفته غير نظيف لا تقربه . الطير أكل اللحم غير نظيف وكذا الماشية التي لا تجتر والسمك بدون زعانف أو أصداف . أي عيب في حيوان يجعله غير نظيف . ولأول مرة أصبح جسم الإنسان العاري غير نظيف والجنس مكروه . وما ذلك في الواقع إلا جزء من ظاهرة العزوف عن اللحم والجنس عموماً التي تصاحب الكتابة . وأعطانا دانيال مشهداً مسرحياً عندما دعاه الأمير إلى أكلة لحم فالتجأ دانيال إلى شئ الحيل حتى استبدل اللحم بالجريش . أصبح الأكل المفضل البصل والثوم والحبوب .

ونستشف مما سبق هبوطاً بارزاً في الطاقة الجنسية ( الليبدو ) إلى حد أصبح يميز التراث اليهودي العبري عن بقية الحضارات القديمة التي اعتزت بالجنس وجمال الجسد . وتلفت النظر إلى أن اللغة العبرية لم تعرف كلمة العفة الجنسية حتى عهد السبي . وربما ألفت ظاهرة الختان ضوءاً آخر على هذه الناحية . فالثابت أن هذه العادة لم تكن شائعة بين العبريين حتى العهود اللاحقة عندما أصبحت واجباً بعدد السبي (١٢) . وينظر علماء الاجتماع إليها كبديل لعملية الإخصاء التي كان البدائيون يوقعونها بالعدو ، وقد لاحظ هيربرت سبنسر أن القبيلة المنتصرة كثيراً ما تساهلت مع عدوها المهزوم فاكففت بختان رجاله بدلاً من ذبحهم . هل جاءت العادة أخيراً كبديل عن قتل النفس وأخصاء النفس وتعبيراً عن النزعة الانتحارية ؟

ودخلت المجموعة في شرنقة تعيش فيها في عالم خاص بها معزول عن العالم . أصبح اليهودي يميل إلى السرية والعزلة لا يكلم أحداً عن دينه أو حياته ولا يريد أن يناقشك فيها . قال فرويد « الأمور اليهودية هي الأمور التي نتكلم عنها بين أنفسنا فقط » . وعندما تحاول أن تجره إلى المناقشة تلقى نفس المقاومة التي يلقاها الطبيب النفسي في جر المريض الذهاني إلى الكلام . خط الاتصال مقطوع ولا تجده ياباً إن اشترقت الشمس أو أغربت خارج عالمه الخاص . وإذا ألقى نظرة من نافذته إلى العالم الخارجي وقف شعره رعباً أنه عالم مخيف لا يبيت له غير الاضطهاد والإبادة . هذا هو